الفصل السادس

عالـم الغيب والشهـادة

١ ـ علم الله تعالى:

الله تعالى عليم من ذاته ، فعلمه ليس مكتسباً ، فهو علم الأقدار والأمور قبل أن يبرأها ، وسجل علمه بالأقدار التي يريد أن يظهرها باللوح قبل أن يخلق الخلائق بخمسين ألف سنة.

فيشمل علمه بالأقدار الأكوان من المجرات والكواكب حتى الذرات فما دونها وخصائص الأشياء وارتباطاتها ببعض وسيرها وحركتها ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1] [يونس: ٦١].

كذلك سجل في اللوح الحوادث وتعلقاتها وأحايين خروجها يظهر ذلك للملائكة ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]؛ ليكون لها منهاج عمل تقوم به حسب تخصصاتها.

ففي النصف من شهر شعبان تُنَزَّلُ أقدار العام كله ، ما سيجري وما يكون من أقدار الأرزاق والأقوات ومن حياة وممات للخلائق ، وتُفَصَّل بدقة حتى تطال الجنين في بطن أمه إذا نفخت فيه الروح؛ لتكتب رزقه وعمره وشقي هو أم سعيد.

وقد نزل القرآن الكريم إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ، حمله الروح الأمين جبريل عليه السلام مُنَجَّماً حسب الحوادث والمناسبات بما يلائم الحال لينزل على قلب رسول الله محمد ﷺ.

٢ ـ فكتابة الأقدار قسمان:

أ ـ آجال محددة لمخلوقات مقدرة هي أقدارهم وفرصهم ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

ب ـ أهل الجنة وأهل النار من علمه بهم.

فالآجال المحددة كقول أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها: اللهم متِّعني بزوجي رسول الله ﷺ وأخي معاوية وأبي أبي سفيان، فقال عليه السلام: «لقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، لن يعجل الله تعالى شيئاً قبل أجله عن أجله... ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب القبر وعذاب النار كان خيراً وأفضل».

فأم حبيبة أخطأت في معرفة الثابت من المتحرك، فالثابت الذي حدده الله تعالى إذ قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض لن يزاد فيه شيء ولن ينقص منه شيء، أما المتحرك والتابع لحرية الاختيار والذي كشفه تعالى علماً وليس هو الذي قدَّره فرضاً فهو أعمال الخلق واختيارهم للحق وسيرهم عليه وطلبهم الرحمة والنجاة من العذاب، ومع أن هذا عَلِمَه تعالى كشفاً وليس مفروضاً إلا أنه يطابق في واقعه ما علمه الله تعالى، وهذا من دلائل عظمته تعالى التي تتبع ألوهيته ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] (علمه ربنا من الأزل ولم يقدِّره) فسجل في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

فالتطابق بين علم الله (الكشف وحقيقة عمل العبد) بعد المعالجات بالمصائب والشدائد حسب ما يحتاج واقع حال العبد، فتطابق هذا المتحرك بحرية الاختيار للعبد مع علم الله الأزلي عن معرفته بالنفوس وما سيكون مصيرها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، إلا أنه أعظم شيء في التوحيد مع اشتماله على متغيرات عظيمة: حالات نفسية العبد، وحالات نفسية العباد في مجتمعه، والأزمنة والأمكنة هذه التحركات، وكل منها يدخل فيها الاختيار، إن هذا على الله يسير، فما على الإنسان

إلا التفكر في هذا؛ لتسجد نفسه لله تعالى تعظيماً على علمه وعلى رحمته وتدبيره لأمور الخلائق.

ـ علم ما سيكون وقدر مقادير الخلق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف عام.

إن أول ما خلق الله تعالى: القلم، وقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.

ـ كتب علمه في اللوح المحفوظ: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥].

ـ أنزل به ملائكته: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ..﴾ [القدر: ٣ ـ ٤].

ـ كتابة أقدار الجنين في رحم أمه (عمره، رزقه، شقي أم سعيد..).

ـ يُنَزِّلُ الوحي بإذن الله تعالى؛ ليبلغ الرسول الكريم كلام الله تعالى (إن الله يقرئك السلام ويقول..) ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا..﴾ [الشورى: ٥١].

ـ الزمان والمكان بيد الله فالحاضر والماضي والمستقبل عنده سواء ليسوا غيباً بالنسبة له بالماضي ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ..﴾ [البقرة: ٣٥]، والحاضر ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ..﴾ [التوبة: ٢٦]، وفي الآخرة ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]، و﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٣ ـ نزول الأقدار:

وهكذا تتنزل الأقدار والحوادث بالأحايين والشكل لتناسب ما هو واقع الظروف على الأرض للأناس المحددين ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، يسير تطابق الأقدار في اللوح مع ما يناسب حال خروجها والحاجة إليها وجعلها ابتلاء لأحوال العباد المراد ابتلاؤهم.

ـ كما يتضمن اللوح المحفوظ نصيب كل إنسان من عقوبات ومصائب (من كيد أو ابتلاءات أو إضلال) يتناسب مع مستوى المخالفة أو المعصية خاصة وأن الدنيا ليست دار جزاء وإنما دار ابتلاء ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فهي إنما قدر من التشجيع أو التنبيه أو الردع ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف: ٣٧].

فإذا أذن الله تعالى بإظهار الأقدار أو الحوادث في حينها المحدد ليعلم ذلك من قبل الملأ الأعلى. .ضربت الملائكة بأجنحتها خضوعاً فصار لها صوت صلصلة (كالمطرقة على النحاس) فإذا فُزِّع عن قلوبهم ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] فتتبلغه الملائكة المختصة .

كذلك من العلوم المسجلة في اللوح المحفوظ والتي تخرج مطابقة لحال العبد الذي اختار سلوكه فآمن أو أعرض بمحض اختياره بعد أن سجلت عليه الحَفَظَة أعماله وتوبته وعودته فأثبتت ما عمل ومحت ما تاب بعد أن تلقى من الله الرحيم من المؤثرات (علاجات لنفسه أو هدايات لتحفزه على السير على هدي الرسول ﷺ) ، والمحاولات مستمرة معه؛ لأن ربي شديد المِحال ، والنتيجة التي سيختتم للعبد بها إما للجنة أو للنار.

ويستمر هذا التطابق بين علم الله المودع في اللوح (هو العلم الكاشف) وما ختم للعبد من أعمال بعد كل المعالجات والتأثيرات.

هذا العلم الجامع للأقدار والحوادث من الثوابت التي لا تحيد وعلم النفس وعلاجاتها وتبدُّل أحوالها وما يُمحى من أعمال لها بتوبتها وما استقر عليه حالها ، هذا العلم المتأثر بحرية اختيار العبد هو الذي عجزت عقول بعضهم عن استيعابه.

فمن لم يتنسَّم العظمة الإلهية في إدراك علم الله الكاشف هذا ، هو الذي وقع في الحيرة والضلال ، فتارة ينسب إلى الله تعالى الجبر ، وأخرى ينسب إليه تعالى أنه يجهل ما سيكون عليه عبده قبل أن يختم له بعمله ،

ولذا اعتبروا سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ . .﴾ ليست معقولة ولا مفهومة بل أنكروا نزولها ، وآخر أنكر قول الله تعالى في الحديث القدسي: «قبضة إلى الجنة ولا أبالي وقبضة إلى النار ولا أبالي». فاعتبر ذلك أن الله حكم بالجبر على عبده بالجنة أو النار ، وآخرون أنكروا حديث أن الملائكة تكتب للجنين عمره ورزقه وإن كان شقياً أو سعيداً ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] اصطفاهم بعلمه الكاشف أنهم أهل للرسالة ، وقبول دعوته وتبليغها.

إذاً علم الله تعالى يشمل على:

أ ـ ما أنزله في كتابه. ب ـ الذي علمه خلقه. جـ ـ الذي استأثر به في علم الغيب عنده ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

فالذي يظهره على رسوله لإبلاغه لعباده ويكلف به ملائكة ترصد تبليغ ما أمر به رب العالمين.

ـ علم الغيب هذا يطابق الواقع على الأرض في حينه ليعلم الصابرين الصادقين ، الذين آمنوا وليعلم الكافرين والمنافقين.

ـ الخير والشر:

هناك خير موجود مطلوب استمرار وجوده ، وخير مفقود مطلوب وجوده ، وهناك شر موجود مطلوب رفعه (إبعاده) ، وشر مفقود ومطلوب عدم وجوده (إبقاؤه في العدم) ، وهذا ما تبينه الآية﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٤].

ومن دعائه ﷺ «اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم».

ـ والشر سببه إما من ذات العبد (بما كسبت يداه) ، أو خارج عن العبد

وله منتهى ، فالذي من نفس العبد يزول بالتوبة ، أما ما كان من خارج العبد فبالصبر عليه ويكون فيه ترقية للعبد وتطهير له. والشر لا يدخل في شيء من صفات الله تعالى ، وإن كان في ظاهره شراً (للإنسان) فهو متعلق به وقائم به مع أنه من مفعولات ربنا المنفصلة (فالله خالقه وخالق الخير). والشر لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً وليس وصفاً ولا فعلاً من أفعاله. وتفصيل ذلك: أن الشر يقسم إلى: شر بسبب عدم وجود الخير فيه والأسباب المفضية إليه ، وشر محض (مطلق) فهذا لم يخلقه الله تعالى ، ومن دعاء الرسول ﷺ «لبيك وسعديك والخير بيديك والشر ليس إليك». فالشر ظلم؛ لأنه وضع الشيء في غير محله.

والشر إذا كان في محله فلم يعد شراً ، فجهة الشر فيه إضافية ، (فالعقوبات الموضوعة في محلها هي خير في نفسها وهي شر بالنسبة لمن وضعت فيه) وكذلك النفوس الشريرة وجودها خير ولكن إذا انقطعت عن الخير صارت شراً (أي إذا تركت وحدها تتحرك خلاف الخير) ، أما إذا أعينت بالعلم والإلهام تحركت إلى الخير.

ـ وينسب الخير إلى الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٢].

ـ وقد ينتسب الشر إلى:

أ ـ سببه كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ، أو قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ب ـ أو يذكر الشر ويحذف فاعله ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠].

جـ ـ وينسب إلى الله كمشيئة وليس كفعل ، فهو عين الخير والحكمة ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] ، فالتدمير كمشيئة نتيجة فسق المترفين بعد أن حقَّ عليهم القول.

ـ والاستعاذة من الشر تكون:

١ ـ من شر كل مخلوق فيه شر ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٣ ـ ٥].

٢ ـ ومن شر مَنْ في الدنيا والآخرة: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال.

٣ ـ ومن شر شياطين الإنس والجن والسباع والهوام والماء والهواء والنار (اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها).

ـ فانعدام الإخلاص لله يسبب سلسلة من الذنوب قد توصل إلى الفجور تبدأ بارتكاب السيئات ثم المعاصي، والعبد لا يحس بها؛ لأنها توافق شهواته إلى أن تقام عليه الحجة ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً . . ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ـ والظالم والفاجر يرى ظلمه وفجوره بنور الله قبحاً ولكن الشيطان يزين له الشهوات فترفع عنه رؤية القبح فيرى ذلك حسناً؛ لأن الكشف عن القبح بالنور الإلهي، فإذا حجب وصار في الظلمات انقلبت الرؤية ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ٨]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١].

فالنفس شفافة كالزجاج، يُرى ما خلفه على حقيقته إن لم يكن ملوثاً، فإذا تلوث وطمس بالأوساخ لم يعد يرى ما خلفه بل صار كمرآة لمن ينظر إليه.

ـ فـ ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ . . ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

ـ وحجة الله قائمة بالرسالة، فانطماس الفطرة عدل من الله وعقوبة على الانحراف، وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو سبب خارج عن العبد.

أما السبب الداخل فيه العبد هو حبه أو بغضه أو إعراضه.

ـ والله تعالى خالق الجميع والكل بمشيئته وقدرته ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

ـ والمعصوم مَنْ عصمه الله بصدقه والمخذول مَنْ خذله الله بإنكاره وإعراضه وشقاوته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، حسب طلب الإنسان للهداية ورغبته فيها.

ـ والصحبة لها دور تلعبه في التأثير سلباً أو إيجاباً في سلوك العبد تصديقا أو إعراضاً قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

ـ ولمجرد أن يعتمد الإنسان على غير الله فيضع فيه ثقته أو يحبه ويعظمه، فالله تعالى يضله عنه ويظهر له ضعفه أو يضعه في مأزق؛ ليجد من كان يعتمد عليه قد تركه ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

ـ والهداية من الله تعالى لمن طلبها (فاستهدوني أهدكم).

ومراحل الإضلال للعبد:

ـ تبدأ بالشعور بالضياع والوحشة ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] لأنه خالق فطرته.

ـ تتكاثر عليه المشكلات والمصائب فلا يكاد ينتهي من مشكلة حتى تبادره أخرى، وهكذا (فكل مخالفة تكون سبباً لأخرى) وهكذا.

ـ ينوء بتحمُّل تَبِعات أعماله المخالفة، ويشعر بالضيق.

ـ يطلب المعونة من الذين كان يعتمد عليهم ويثق بهم فلا يجد أحداً.

ـ يمقت الحال الذي هو فيه.

ـ يفتش عن مخرج وقد انسدت أمامه الأبواب والسبل ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ..﴾ [الإسراء: ٦٧].

ـ يشعر بالذنب وعاقبة المخالفة فيندم على ما فرط.

ـ ثم يسلك باب التوبة (والتوبة هنا مشيئة من الله تعالى) ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ [التوبة: ١١٨] ، فتاب عليهم قدراً ومشيئةً؛ ليتوبوا مشيئة منهم ليزهدوا في المخالفات ويطلبوا رضا الله. وهكذا فالعلاج لمقترف المعاصي المفرط على نفسه: الندم والتوبة ، ومن الله تعالى إذا علم صدقه المغفرة ، وباب التوبة مفتوح والله تعالى لا يرد سائلاً للتوبة ولا لغيرها. والصدقة دليل صدق العبد تطهِّر القلب مما علق بالإنسان من آثام ، وفي الأثر: بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها.

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦] ، يعذبهم إذا لم تخلص توبتهم ، أو يتوب عليهم إذا أخلصوا ، ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٢] ، شعروا بالخطأ لكن توبتهم وندمهم ليسا خالصَيْن فقدموا أعمالاً صالحة يرجى من الله قبولها؛ لتمحو السيئات وتطهر قلوبهم.

والمنافقون الذين ظاهرهم الصلاح وقلوبهم مسودة لم تَخْلُ من حب المعصية بل حتى اقترافها ، فهؤلاء ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، تعذيب نفسيّ بعدم نجاح كيدهم وتعذيب نفسي بفضح أمرهم في المجتمع وإهانتهم ومن ثم لهم عذاب الآخرة.

ـ وأما الكفار المعاندون فليس لهم دواء إلا الجهاد (ليكون الكَيُّ آخر الطب) ، ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥] ، فذهاب غيظ قلوبهم بنصرة الإسلام وهزيمتهم فيذلوا وبالتالي لم يعودوا يفكرون بالعداوة بل بالدين أهو حق أم لا؟ فيعذب الله الكافرين بالجهاد ﴿ . . ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

والكفر والشرك ينافيان الفطرة وهي التوحيد لذا لا دواء لهما إلا الجهاد. (بالسنان واللسان).

ـ إن معالجة النفس الإنسانية تربية من رب العالمين بدأت حين وقوعها بالضلال وحتى إيصالها إلى الهداية أو انقطاع الأمل بصلاحها ليس بمقدور غير رب هذه النفس ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤]؛ وذلك لأنه تعالى:

١ ـ عالم بالنفس ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣] وأمراضها وأدويتها.

٢ ـ عالم بما يحيطها من أقدار ودرجة التأثير المتبادل بينهما.

٣ ـ أنه هو الحكيم العليم المتصف بالرأفة والرحمة، وهو اللطيف يعالج مُتَّئداً وبلطف ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠] دون أن يفرض عليها الجبر وهي في موقع الاحترام والاختيار، فهذا العلم الأزلي الذي يعرف النتائج وهو الذي يتطابق مع نتائج المعالجة تطابقاً تاماً ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ [الحديد: ٢٢] (أزلي عن علم الله لما كان وما سيكون غير ملزم ولكنه تقدير علمي دقيق) ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، هذا التطابق بين علم الله الأزلي ونتائج المعالجة على الواقع مع عدم المس بحرية الاختيار، هذا التطابق العظيم الذي لا يمر على صغيرة ولا كبيرة إلا ويدخلها في حساباته، خاصة وأنها جميعاً من المتغيرات وليست من الثوابت، هذا على الله يسير لعظمة الله العظيم ولقدرته ودقته.

ـ وعلم الله تعالى الأزلي بخواتيم الأعمال وقد حجبه عن الخلق هو عين الرحمة والعدل الإلهي؛ لأنه يجعل المؤمن على وَجَلٍ من سوء الخاتمة، والعاصي على أمل بحسن الخاتمة فيجتهد المؤمن؛ ليحافظ على ما أعطاه الله تعالى من نعمة الإيمان ويطلب من الله التثبيت (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، وبما أن باب التوبة مفتوح لمن جنح مهما كان جنوحه (عبدي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم أتيتني تائباً غفرت لك ولا أبالي)، فهذا يدفع بالعاصي في كل لحظة إلى العودة إلى ربه والتوبة والإنابة غير يائس أو قانط من رحمة ربه ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا . . ﴾ [الزمر: ٥٣].

وحقيقة الإيمان أن يعيش المرء بين الخوف من سوء المنقلب بعد ما وصل إليه من العبادة فيركن إلى الغرور، وبين الرجاء برحمة الله بقبول توبته وعفوه وحسن الختام بعد تفريطه.

ـ الهدايـة:

وهي نوعان:

أ ـ هداية الدلالة، وهي التي أثبتها الله تعالى لرسوله ﷺ ولأوليائه الذين على أثره بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، و﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ب ـ هداية التوفيق والطاعة لله تعالى، فهذه له وحده تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فالذي استجاب لدعوة الله ورسوله ﷺ يهديه الله ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [المائدة: ١٦]، وهي التي يسألها العبدَ رَبَّهُ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥].

ـ العناية الإلهية: يقلب الله عباده في العناية من طور إلى طور كما خلقهم أطواراً، كذلك هو معهم بالعناية أطواراً ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

فإذا استخدم العبد الإمكانات المعطاة له للمهمة المكلف بها (عبادة الله)؛ صار بأدوات السمع يسمع وبأدوات النظر يبصر وبقلبه يعي الأمور.

فإذا استفاد من الآيات التي عرضت عليه بالنظر والاستدلال كانت العناية الإلهية تحيطه فتفتح له سمعاً إضافياً ورؤية زائدة وفهماً أعلى.

فهذا سليمان عليه السلام سمع كلام النملة والهدهد.

وهذا يعقوب عليه السلام يشم رائحة يوسف من مسافة آلاف الأميال.

وهكذا فالمؤمن ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله.

وأما إذا وقف الإنسان بحواسه ومداركه عند الاستمتاع المجرد دون النظر والبحث وكان عبداً لشهواته متعصباً لها، فهذا الإنسان يطمس على قلبه وحواسه، ففي مرتبة السمع يسمع الألفاظ ولكن لا يتجاوزها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: ١٦].

وفي مرتبة الرؤية قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، لم ينفذوا من النظر إلى ما وراءه.

وكذلك في مرتبة الوعي والفهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فالسلاح إذا كان في يد جاهلة يضر بصاحبه، والله تعالى يسلب الكفرة خاصية الحواس؛ حتى لا يستخدموها في غير ما خلقت لأجله ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

وإكرام الله تعالى لعبده المؤمن أن يلهمه الصواب ويفتح بصيرته ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨]، وكان من دعاء الرسول عليه السلام: «اللهم ألهمني رشدي».

فإذا كان العبد منشغلاً عن الله فيلتهم إبليس قلبه بالوساوس «إن الشيطان ليضع خطمه على قلب ابن آدم... ينتظر غفلته».

والله تعالى مع عباده كلهم: بالتأييد والتسديد والهداية للمؤمنين، ولغير المؤمنين بالتنبيه والتوعية والعناية فيسمح للشيطان بالوساوس لهم ويعالجهم في تسليطه عليهم في غفلتهم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

ـ يكون البيان من الله تعالى بالآيات القرآنية المتلوة وببيان رسول الله ﷺ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والبيان بالآيات التكوينية (سنته في العاصين والمتقين)، والبيان بالآيات الكونية الدالة على أسمائه الحسنى وقدراته، وهذا البيان العام للطائعين والعاصين.

ـ أما البيان الخاص منه تعالى فهو للمؤمنين بالتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان، مثلها: عندما أبان الله للخليفة الراشد عمر رضي الله عنه

عن موقع الأعداء فصاح لسارية أمير الجيش أن يأخذ حذره ويحتمي بالجبل: (يا سارية الجبل الجبل).

وقد ورد في الحديث: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به ونظره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.. ولئن سألني لأعطينه...»، هكذا عناية ربنا بعباده المؤمنين إلى السداد والرشاد.

وتخلي ربنا عن العصاة للشيطان؛ ليرديهم المهالك فيتبينوا خطأ سلوكهم ويفكروا بالسلامة، ويصلوا إلى النقطة التي يجب أن يبدأوا منها وهي العبودية لله ويدخل تأليه الله تعالى في قلوبهم فيتخلوا عن شياطينهم لتتسلَّمَهم عناية الله بالسداد والرشاد.

ـ فيدخلهم في مرحلة الابتلاءات ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وذلك ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، فالله يعلم ولكن ليعلم العبد نفسه أنه من الصادقين أو من الذين لا يزال في نفوسهم شكوك ونقص معرفة بالله تعالى، وبالتالي فتأليه الله عنده ليس في مستوى العبودية.

ـ والفتن التي يبتلي الله بها عباده قد تكون مما تشتهيه نفسه وتطلبه، فإذا ارتاح بها ونسي المنعم ولم يقم بشكره كان من الجاهلين ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، ويعتبر ذلك عطاءً من الله له؛ لأنه يحبه وأنه على الحق فهو يخدع نفسه، وأما إذا كان الابتلاء من النوع الذي لا تشتهيه النفس بل تكرهه... فما حاله؟ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦].

والجواب في كلتا الحالتين هو كلاَّ؛ فليس العطاء تكريماً لحاله ومكافأة له، وليس المنع والإقتار هو إهانة له، بل الحقيقة هي وسيلة ليعرف الإنسان نفسه هل هو من الشاكرين في العطاء؟ والشكر للمنعم يظهر أثره في عباد الله معاونة وإحساناً، أم هو من الصابرين على المنع والإقتار؟

وهذا يجب أن يظهر أثره في المؤمن ، حسن خلق ، وعدم شكوى ، ورضا ، وطمع في الأجر والثواب.

وهكذا ترتفع وتيرة الابتلاءات كلما ازداد العبد معرفة بالله وعبودية له حتى تخرج من قلبه الدنيا ومحبة العاجلة ، وتستقر في قلبه محبة الله وثواب الآخرة.

والحقيقة أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، وهما يسيران جنباً إلى جنب مع المؤمن ، ولا حجة لأحد من الخلق على ربه ، فقد مرره الله في عمره بسلسلة من الابتلاءات وقدم له من النذر ما يتذكر فيه من تَذَكَّرَ.

لذا فالجميع يوم القيامة ـ أهل الجنة وأهل النار ـ بعد كشف الغطاء ورؤية نعم الله عليهم ، وعنايته بهم حالهم يقول: الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

علم الغيب

الله عالم الغيب والقرآن يؤكد ذلك ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

فما يقع في هذا الكون قد علمه الله من الأزل وسجله في كتاب وما يجري الآن من مقادير يخرج عند توفر شرائطه ، وتطابق ذلك العلم الأزلي مع ما يجري الآن من معالجات للنفس الإنسانية حسب أحوالها ، كل ذلك يدل على العظمة الإلهية ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] مع وجود حرية الاختيار.

وهذا التطابق بين علم الله الأزلي وما يعيشه الإنسان وهو متمتع بحرية الاختيار هو الذي استعصى فهمه على من قصرت أفهامهم؛ لأنه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ـ ومن قال: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ ، ردّ عليهم ربنا: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ، والظن أكذب الحديث ، فقد ذكروا ذلك؛ ليبرروا شركهم ويغطوا جهلهم وقد تنكروا لما حباهم الله من حرية الاختيار فلم يقولوا إنا مأمورون بالإيمان فاخترنا الشرك ، وهم إلى الآن قادرون على تغيير سلوكهم وإنشاء توبة بحرية اختيارهم ، ثم كيف علموا أن الله كتبهم في عداد أهل النار (المشركين)؟! ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] ، أو يدَّعون أن مشيئة الله لهم بالشرك ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

لقد حاجّ آدم عليه السلام موسى عليه السلام بأن نزوله من الجنة كان مقدراً قبل أن يخلقه الله ويسكن الجنة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ، فنزوله من الجنة إلى الأرض قدر الله ، وعلى الإنسان الرضا بالقدر أما موضوع معصية آدم لربه وأكله من الشجرة فلا حجة لآدم عليه السلام؛ لأن على المذنب أن يتوب وهذا ما فعله آدم عليه السلام ، فلم يحتج بالمعصية أنها قدر ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥].

فالصبر على قَدَرِ الله ، والاستغفار من الذنب هو العبودية ، والحكمة في ذلك قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

فإذا شهد العبد نفوذ الأقدار فيه وعجز نفسه وافتقاره لربه وعدم استغنائه عن عصمته ، وكان مع الله في كل حال لا مع نفسه فلا يأتي منه في هذه الحالة وقوع ذنوب ، أما إذا بقي مع نفسه واستولى عليه حكم النفس فحجب عن ربه دخل في المعاصي.

فقضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى خير كله وعدل كله ، وأما المقضي وهو المفعول المنفصل فهو قسم يرضى منه ، وقسم لا يرضى منه ، مثال ذلك قتل النفس المحرمة فمن حيث أَجَلُ المقتول نرضى به قضاء وقدراً من الله تعالى ، ومن حيث هو صادر عن القاتل ، باشره بنفسه وكعمل كسبه وصدر عنه باختياره وعصى به ربه ، نسخطه ولا نرضى به.

ـ فالله تعالى له في كل موجود نعمة ، وهذه النعمة تصير بلاء وكل بلاء يحتاج إلى صبر ، وكل نعمة تحتاج إلى شكر ، فخلق الله نعمة وحكمة لكل خلقه أو لبعضهم نعمة ولبعضهم بلاء وكل ذلك لحكمة ، فتجتمع في العبد وظيفتا الشكر على النعمة والصبر على الابتلاء ، وكل حالة لا توصف بالبلاء المطلق أو بالنعمة المطلقة.

فليس كل بلاء مطلوباً الصبر عليه ، كالكفر مثلاً إذ الكافر لا يعرف أنَّه

مُبتلىً بالكفر ، كالمريض الذي لا يعرف أن به مرضاً خبيثاً لا يمكن كشفه إلا بكواشف إذا كان غير مؤلم له. أما المؤمن العاصي فيعرف أن به علّة عليه التخلص منها لشعوره بها.

فكل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فليس مأموراً بالصبر عليه كالجوع والعطش وتسلط الأعداء واقتراف المعاصي.

أمثلة من الغايات والحكم في معالجة ربنا للأنفس الإنسانية:

ـ إن تكذيب موسى ـ عليه السلام ـ من قبل فرعون شاءه ربنا وسمح به؛ لأنه كان سبباً لإيمان السحرة وسقوط ألوهية فرعون من قلوب شعب مصر وبني إسرائيل ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٠ ـ ١٢٢].

ـ تلفّظ فرعون بكلمة الإيمان ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ، ومع أنه جاء في وقت لا تنفع فيه التوبة ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . .﴾ [يونس: ٩١] إلا أنه يثبت حرية الاختيار التي أكرم الله بها عباده ، وأن العاصي قادر على التوبة التي يحبها ربنا ويقبلها ما لم تصل الغرغرة.

ـ إن القوم الذين حقّ عليهم العذاب قادرون على التوبة والرجوع وأن يكشف الله عنهم العذاب عندئذ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ. .﴾ [يونس: ٩٨].

ـ فكثير من الذين عاندوا الدعوة وحاربوا رسول الله ﷺ انقلبوا بعد ما وقعوا في الأسر لدى المسلمين أو سمح لهم بالتعرف على أحوال المسلمين أسلموا وتابوا وصاروا دعاة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ. .﴾ [الفرقان: ٧٠] كثمامة والعباس وخالد بن الوليد و. . رضي الله عنهم جميعاً.

إن آيات الله التي فيها (لعلهم يرجعون ، لعلهم يتقون ، لعلهم يؤمنون) هي دليل قاطع على أن المعالجة من الله تعالى لها أهداف تصب في مصلحة

الإنسان إذا قبل الدواء ، وهذا يتنافى مع الجبر الذي يقول به الزنادقة والمتحذلقون.

- الله تعالى أعطى الناس فطرة وعقولاً مختلفة وشهوات ، وترك الشيطان يوسوس لهم ويزين لهم الشهوات وسوء الأعمال ، وأعطاهم حرية الاختيار ، وكتب على نفسه الرحمة (أن يرحمهم بما يسوق لهم من مؤثرات وحوافز وعلاجات علَّهم يسيرون بالنور فيبصرون الحق ويتركون الظلمات التي ستردیهم في المهالك ، ويعالجهم كأفراد وكجماعات ويؤثر بعضهم ببعض ويتأثر بعضهم ببعض).

- فالثابت فطرتهم عنده تعالى وإمكاناتهم وآجالهم وأرزاقهم وظروف حياتهم ومؤهلاتهم ، أما المتغير الذي فيه الإعجاز الإلهي وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا هو ، ماذا سيختارون من المعالجات في كل مرحلة ، وتأثرهم بوساوس الشياطين (شياطين الإنس والجن) ، ودرجة تأثرهم بالنور الإلهي وما يسوق لهم الله من علاجات ، وتأثرهم بدعوة الرسل والهدي النبوي ، ثم إنهاء حياتهم بما يستحقونه من الوصول للجنة أو النار.

فتعظيم الله تعالى لتعظيم علمه بالغيب.

* * *